تمهيد

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٥٢ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلۡأُمُورُ ٥٣ ﴾.[1]

هنا نرى الرَّسُولَ ﷺ يُخَاطَبُ من قِبَلِ الله خطابَ حاضرٍ مُكرَّم، بتوجيه الخطاب المباشر إليه ﷺ.

﴿ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ ﴾.

﴿ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ ﴾.

﴿ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾.

ونرى ضمير العظمة يتكرر في قوله: ﴿ أَوۡحَيۡنَآ ﴾ وقوله: ﴿ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ ﴾ وقوله: ﴿ جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا ﴾ وقوله: ﴿ نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَا ﴾.

وفي ذلك ما فيه من دلالة على عظمة الموحَى به، والموحَى إليه.

فالموحَى به من العليِّ العظيم: رُوحٌ تحيا به القلوب.

---

(1) الشورى: ٥٢: ٥٣.

والموحَى إليه: رسولٌ له عند الله تعظيمٌ وتكريم.

والنَّازلُ بالوحي هو: الرُّوحُ الأمين. وهو ذو قوةٍ عند ذي العرش مكين.

وَجِبْرِيلُ عليه السلام - وَإنْ رأينا ما يَدُلُّ عليه في قوله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ﴾ - فقد جاء ذِكْرُه وَوَصْفُهُ في آياتٍ تُرَى فيها حقيقة الصِّلة بين مَن نَزَّل القُرآن، وَمَن نَزَل به، وَمَن نَزَلَ عليه.

﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ ﴾

﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ ﴾

﴿ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ ﴾.[1]

فمَن نَزَّل القرآن هو: الله ربُّ العالمين.

ومَن نَزَلَ به هو: الرُّوحُ الأمين، جبريل عليه السلام.

ومَن نَزَلَ على قلبه هو: الصادق الأمين، خاتم النبيين، محمد ﷺ.

وكفى أن يكون القرآن تنزيلَ ربِّ العالمين؛ ليكون للعالمين نذيراً، وأن يكون النازلُ به هو الرُّوحُ الأمين، الذي كان وليّاً لجميع المرسلين.

ليُعلم أنَّ الدِّين - عند الله - واحدٌ، وأن مَن نَزَلَ به هو أمينُ الله، الذي أمره ربُّه أن يتنزَّل على جميع المرسلين.

ولذلك قال "وَرَقَةُ بنُ نَوْفَل" عندما سمع من رسول الله ﷺ ما سمع

---

(1) الشعراء: ١٩٢- ١٩٤.

من أمر الوحي: « هذا النَّاموسُ الذي أنزله الله على موسى ».

والنَّاموسُ: هو جبريل عليه السلام.

والنَّاموسُ في اللغة: « صَاحِبُ سِرِّ الخَيْرِ ».

والجَاسُوسُ: « صَاحِبُ سِرِّ الشَّر ».

وقد سُمِّي جبريلُ عليه السلام بذلك؛ لأن الله تعالى قد خصَّه بالغيب والوحي.

و"ورقة بن نوفل" إنما علم ذلك مِمَّا نزل في كُتب الله من قبل، كما علم سُنَّةَ الله في المرسلين. وكان امرءًا قد تنصَّر في الجاهلية.

حيث قال ـ عندما قالت له خديجةُ ـ رضي الله عنها ـ: « اسمع من ابن أخيك ».

قال "ورقة بن نوفل": يا ابن أخي؛ ما ذا ترى ؟

فأخبره الرَّسُولُ ﷺ خَبَرَ ما رآه.

فقال له ورقةُ: هذا النَّاموسُ الذي أُنزل على موسى عليه السلام.

يا ليتني فيها جَذَعاً[1] يا ليتني أكونُ حيَّاً حين يُخرجك قومُك.

قال الرَّسُول ﷺ: « أَوَمُخْرِجِيَّ هُم ؟ ».

قال ورقةُ: نعم. لم يأت رجلٌ ـ قط ـ بما جئتَ به إلا عُودي.

سُنَّةُ الله في المرسلين واحدة، ودِينُهم واحد. وجبريلُ هو الناموس الذي أنزله الله على محمدٍ ﷺ، كما أنزله على جميع المرسلين من قبل.

والكيدُ لهم هو الكيد. والعداءُ هو العداء لجميع الأنبياء.

---

(1) أي: يا ليتني أكون اليوم شاباً متمكناً من الإيمان والعلم النافع والعمل الصالح.

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾ ﴾.[1]

﴿ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا ۖ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾ ﴾.[2]

***

(1) الفرقان: ٣١.

(2) الإسراء: ٧٧.